

٣ - رسالة المربي

الطريقة العملية - مميزاتها - الطريقة العملية - عملية النمو

للأستاذ كمال السيد درويش

لجأ رجال التربية إلى الطريقة الطبيعية السيكولوجية يبحثون خلالها عن الطريقة العملية التي يمكن اقتباسها لإدخالها في المدرسة الحالية

لقد زودت الطبيعة الإنسان بفرائزه وفرضت عليه أن يتعلم سواء أراد أم لم يرد... أفلا تكون قد زودته في نفس الوقت بالطريقة العملية التي نحن بصدد البحث عنها وعن مميزاتها ؟ قد نجد لها لدى الإنسان حين يستجيب لفرائزه . ولكن الإنسان الحالي للتحضر يتحكم في تسيير سلوكه مراعيًا في ذلك تقاليد المجتمع الحالي فلا يسمح لفرائزه بالظهور في شكلها الطبيعي إلا بمقدار ما اصطلاح المجتمع على السماح به

ولذلك يجب علينا أن لا نبحث عن الطريقة الطبيعية للتعليم لدى هذا الإنسان المتحضر التكاثف؛ والذي يظهر غير ما يبطن ويعمل غير ما يشتهي . وإنما يجب علينا أن نبحث عنها لدى الإنسان البدائي الذي يعيش على الفطرة أو لدى الطفل الناشئ الذي يطلق على سمجته ولا يمسأ بمن حوله من الناس . ولو نظرنا إلى الطريقة الطبيعية التي يتعلم بها الإنسان البدائي أو الطفل إلى العمل المنتصر لا ضد الطائفة من البشر وحدهم.. بل أيضا ضد أعدائهم الأقدمين : الجوع والشفاء واليأس !؟

أبرها الأمر بكلامه :

نحن قوم نطالب بالحرية وأنتم قوم تقدسون الحرية. فاحذروا أن يبركم الثعبان البريطاني إلى مالا نحب وما لارضون فتصبحوا على ما قتلتم نادمين

أبر الفتح غطيت

الناشئ لوجدنا أنها طريقة عادية جدا ؛ طريقة طبيعية تتمشى مع الطريقة السيكولوجية . يتعلم الطفل في منزله كل شيء ، يتعلم الكلام ويتعلم المشي ولكن كيف ؟ ألم يطلب إليه والده أن يتبها ليأخذ درسا في الكلام أو في كيفية الأكل وهم جرا كما تفعل مدارسنا الحالية ؛ ولكنه اقتبس ذلك كله دون أن تشعر الأمرة بكيفية تعلمه . هو يتعلم عن طريق غير مباشر ، عن طريق حياته في الأسرة وعن طريق تفاعله معها . هو في حاجة إلى أمه دائما لأن لديها الثدي مصدر غذائه . فإذا ابتعدت عنه أمه لتفرض عملا ، شعر بحاجة الماسة إلى نداءها . قد يلجأ إلى البكاء ولكن البكاء قد يؤدي إلى عجب الأخ أو الأخت أو الوالد فهل يجد بشيئة عذمة ؟ اكلا . هو يريد أمه بالذات دون غيرها . وعلى ذلك فهو مضطر إلى نداءها . وهكذا ينطق كلمة « ماما » أو هكذا يتعلم الطفل كيف يتكلم . مشكلة تنور في وجهه ؛ مشكلة حيوية بالنسبة له تضطره إلى التفكير في حلها والتغلب عليها . ويشعر الطفل أثناء ذلك بقيمة ما يتعلمه فلا عجب إذا رأينا سلوكه خلال ذلك سلوكا تلقائيا . فهو ينطق بحض رغبته ويتعلم ببعض إرادته ، ثم سرعان ما يجده يستعمل ذلك العلم - الذي كان غرضا في أول الأمر - وسيلة لتحقيق أغراض حيوية أخرى ترتبط به . فكلمة ماما سرعان ما تخرج معها غيرها من الكلمات : « ماما » وهكذا

هذه هي الطريقة العملية للتعليم داخل الأسرة، وهي نفسها الطريقة الموجودة لدى الإنسان البدائي ولدى الطبقات التي ما زالت حتى اليوم تعيش على الفطرة . يصبح الابن فيشاهد والده متوجها إلى الحقل فيسأل : لماذا ؟ ويذهب مع والده غيراه وهو يزرعه . ينظر إليه أولا ثم سرعان ما يشترك شيئا فشيئا ، في حراسة المواشي وإطعامها أو في السير خلف المحراث ، وهكذا يشترك اشتراكا عمليا في الزراعة فيتململها لأن عليها تتوقف حياته وحياته أسرته . لقد امتص واشتق هيم ما يلزمه من معلومات حتى أصبح في النهاية فلان أصيلا مع أنه لم يتلق أى درس في أصول الزراعة

هذه هي الطريقة الطبيعية العملية السيكولوجية التي يمكن أن نلاحظ عليها البرزات الآتية :

١ - إن المتعلم يبدأ فيها كنتيجة لافترض مشكلة ما
سبيل التعلم ، وإن مدى استجابته لها يتوقف على مدى حيويتها
بالنسبة إليه

٢ - إن نزوع التعلم إلى حل المشكلة نزوع تلقائي نابع
من ذات نفسه وغير مفروض عليه من الخارج

٣ - إن ظاهرة التغير - لا الجلود - هي التي تلازم
سلوك المتعلم ، وإن التعلم هو الذي يسيطر على تغيير سلوكه حتى
يصل إلى تحقيق هدفه النهائي

٤ - حيوية المادة التعليمية ونبوتها وعدم قابليتها للفساد
وكيف يمكن أن تنسى وقد أصبحت جزءا لا يتجزأ من حياة
الإنسان

٥ - إن التعلم بتعلم فيها عن طريق غير مباشر بمعنى أن
التعلم ليس هدفا في حد ذاته ، وإنما هو غرض يتحول إلى وسيلة
ترعى إلى تحقيق هدف جديد ... يبدو بدوره وسيلة أخرى تفتح
أمام الإنسان آفاقا جديدة وهكذا تظل المعلومات مستعملة
باستمرار فتظل لذلك دأبا أبدا خبرة حية نابضة في القلوب
والأذهان

٦ - إن ظاهرة النمو والاستمرار في التعلم صفة أساسية في
الشخص الذي يتعلم بهذه الطريقة ؛ لن ينقطع تعلمه مادام يحيا
ويبشئ وسيظل يطلب العلم من المهد إلى اللحد

٧ - إن الناحية العملية تطلب على هذه الطريقة ، فالعامل
داخل الأسرة كالإنسان البدائي في القابة وكالفلاح في الحقل يعتمد
على الناحية العملية في تعلمه إلى حد كبير

لقد نلم الطفل النطق لينادى أمه وقد استجابت لندائه
فأنحلت المشكلة ... ولكن ماذا يفعل إذا ناداها فلم تلب النداء ؟
هذه مشكلة جديدة تستدعي منه التفكير والعمل على حلها . قد
يحاول الذهاب إليها بنفسه سميا على أربع ... ولكن المثل أفضل

لأنه أسرع فليتعلمه هو الآخر . وهو في كل هذه الأحوال يتعلم
بطريقة عملية ؛ يقع حينئذ ويسير حينئذ آخر . إن الطريقة الطبيعية
ذات مظهر عملي يتجلى بوضوح في ممارسة المتعلم بنفسه لما يتعلمه

٨ - إن هذه الطريقة تتمشى مع الطريقة السيكلوجية
بمعنى أنها تستند إلى فرائز الإنسان . فتدأ الطفل لأمه مصدره

حافز غريزي هو البحث عن الطعام

٩ - إن هناك تماثلا وتشابها بين هذه الطريقة وبين الطريقة

العلمية الحديثة ؛ تلك التي وصل إليها علماء العلوم التجريبية مثل
علماء الطبيعة أو الكيمياء ، والتي نعتبر في الحقيقة سر ازدهار
وتقدم هذه العلوم بل وسيطرتها على توجيه دفة الحضارة الإنسانية
في العالم بأسره . تلك الطريقة التي لا تؤمن إلا بالتجارب لأنها

سبيل التأكد من صحة الفروض . ولو نظرنا إلى موقف الطفل
أثناء تعلمه لوجدناه يشبه في طريقة تعلمه إلى حد كبير جدا عالم
الطبيعة أو الكيمياء أثناء تجاربه داخل معمله . ينادى الطفل

أمه فتستجيب إليه أحيانا ولكنها أحيانا لا تستجيب . عند
ذلك يجرب طريقة أخرى غير النداء ... يلجأ إلى الحبو ولكن

الحبو يفل . عند ذلك يلجأ إلى الشئ ... وهكذا يستمر في تعلمه ؛
يجرب هذه الطريقة ثم يتركها إلى غيرها وهكذا . وهو في أثناء
تجريبه يحذف الخطأ فلا يتقيد به ويحفظ بالصواب ويستمسك

بمادام يحقق أغراضه في الحياة . وكذلك شأن العالم في معمله بين
الفازات والمباحث وبين الأواني والمخابير . يختبر خواص
الأكسجين مثلا فيعرف أنه يساعد على الاحتراق . قد يجرب

اكتشاف صفات أخرى فإذا لم يجد احتفظ بهذه الصفة المتميزة .
ولكن لا يقف عند تحقيق غرضه واكتشافه ... بل يتخمين هذا
الاكتشاف وسيلة إلى تحقيق أغراض أخرى وقد نجح فعلا في

استخدام الأكسجين في عمليات اللحام وفي سهر المادن .
وما لنا نذهب بعيدا وقد كان تعلم القدرة غرضا يتجه إليه العلماء
فأصبح الآن وسيلة إلى استخدامهما في التدبير كما يتناول الجهود
الآن لاستخدامهما كوسيلة من وسائل البناء والتعمير

ألا يحق لنا بعد توضيح هذا التماثل والتشابه بين الطريقتين
الطبيعية والعلمية أن نقول إن الطريقة التي يتعلم بها الطفل أو
الإنسان البدائي هي طريقة علمية أيضا ؟ !

لقد وضعنا سميات الطريقتين الطبيعية التي يتعلم بها الطفل
داخل الأسرة ، ولكننا لم نوضح بعد موقف ول الأمر في
الأسرة من الطفل خلال تعليمه ، وكيف يكون ؟ فإن ذلك

بالنسبة لنا كربين من الأهمية بمكان حتى نستنتج حدود رسالة
الذي كما يجب أن تكون

لحوت . وكذلك لا يجدر بالربي أن يترك تلميذه هكذا حرا يفعل ما يشاء ، ولكن ليس معنى ذلك أيضا أن يقيد حريته ليتحكم فيه ويستعبده ، وهل يتحكم الزارع في النبات فيطلب من بذور الجرجير أن تنتج تفاحا ، أو يأمر القمح بالنمو سريعا حتى يحصد بعد شهر ، بينما هو يحتاج إلى شهور ؟ كلا ، ولكنه يرعى نباته ويوقف منه في نموه موقف المدافع عنه ضد كل ما يوق سبب هذا النمو المتصل . يلتقط الديدان ويحرقها ، ويحلب السماد ، ويمنح نباته الماء ولكن بعقدار ، وفي ميعاد معين بالذات . وكذلك الربي سواء كان ولي أمر أم غيره ، يجب ألا يصدر الأوامر إلى ابنه بأن يصبح طبيبيا أو مهندسا ، وألا يجبره على تعلم ما لا يريد ، وأن لا يحرمه من تعلم ما يريد . وإنما يجب على الربي أن يقدم المتعلم ما يطلبه بنفسه من زاد على ، وأن يزيل من طريقه العقبات حتى يستمر في تعلمه وإشباع ميوله ورغباته ... وهذا يضطر الربي إلى التفكير فيما يجب تقديمه للمتعلم ، فيعمل هو الآخر ويشترك ... وتسير عملية التعلم سيرها الطبيعي : نمومتشارك وعمل متواصل من جانب المتعلم والمعلم ، وكما أن النمو هو دليل الحياة في النبات . فهو كذلك دليل على حياة التعلم أيضا

الكلام صلة كمال السبروروش

ليسانه الآداب بانياز — دبلوم معهد التربية العالي
مدرس بالمرل الثانوية

أما موقف الأم من ابنها فهو عهد السبل أمامه حتى يستطيع السير فيها . تسدد محاولاته بإرشاده وتصحيح كلامه . تصحيح خطواته هو ، وإرشاده إلى مواضع الخطأ في كلامه هو . هي لا تفرض عليه كلاما مميئا أو السير وفق خطوات مرسومة . تصحيح كلامه وجهه حتى تساعد على التمييز عما يجوز بذهنه هو من رغبات وآراء قد تبدو مضحكة بالنسبة لنا ولكنها حيوية بالنسبة إليه . وتقف الأم نفس الموقف من طفلها حين يتعلم الشيء نحوطة بنائها وتقيه ما قد يمرض له من أخطار . تترك له الحرية في الشيء ، ولكن بعيدا عن أما كن السقوط . تأخذ أولا بيديه ثم ياحدى يديه ، ثم تتركه ولكن وهي أقرب ما تكون إليه حتى إذا اختل نوازته استند إلى صدرها الحنون

موقف الأم ، هو موقف المهدي المبدد للذال للمقبات ، لا موقف التحكم المسيطر المتربص للزلات

هذا هو الموقف الذي يجب أن يقفه الربي ممن يتعلم على يديه . وقد شبه بعض العلماء تهاد الربي لتلميذه وهو يتعلم ، كتعهد الزارع لنباته حين ينمو ، وشبهوا نمو التلميذ في هذه الحالة بنمو النبات . تنمو الشجرة منذ أن كانت بذرة في باطن الأرض إلى أن تذبل وتموت . كذلك يجب أن يشبه التلميذ النبات في نموه ؛ فيستمر من المهد إلى اللحد ، والنمو في النبات نمو تلقائي . تنمو الشجرة من تلقاء نفسها وبفلسها ، ولا يحتطيج الزارع إصدار الأوامر إليها بالنمو سريعا أو بطيئا ، وكذلك يجب أن يكون نمو التلميذ تلقائيا أيضا

ولا يترك النبات مع ذلك هكذا دون عناية ؛ بل إن الزارع يحوطه بنائجه دائما ويلزمه خلال أطوار نموه ، وهكذا يجب أن لا تترك التعلم لنفسه

والنمو في النبات عملية مشتركة بين الزارع وبين النبات ... وكذلك يجب أن يكون التعلم عملية نمو متواصل مشترك بين المعلم والمتعلم

ويشبه موقف الزارع من النبات الموقف الذي يجدر بالربي أن ... يقفه فالزارع لا يترك نباته حرا ينمو كما يشاء ، وإلا اموج موده ، وما استفاد له ظل قط . كما أنه لا يتركه بمفرده ليقاوم آفات الزراعة من ديدان وحشرات ، وإلا كان معنى ذلك أنه يتركه

الألمة مقترنة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

وهي القصة المللية الواقعية الرائعة الخالصة للشاعر

الفيلسوف « جوته » الألمانى

نسخة ٢٥ قرشا هذا أجرة للبريد